كما علم من التفصيل السابق وصدور الفعل بعد تعلق القدرة والارادة ضروري

ونسبة القدرة والارادة المتعلقين بالفعل الى العبد نسبة المقبول الى القابل

لا نسبة المفعول الى الفاعل فالشبهة مخمسة عن اصلها اذ مثل العبد فيكونه

معاقبا بالمعاصي مثل من اضطر الى شئ ثم عوقب به فان الله تعالى القى في ذهنه

صورة الامر الملائم واعتقاد النفع ثم صار ذلك سببا لحدوث الشوق

الكامل الى ذلك الامر ثم صار ذلك سببا لانبعاث القدرة المحركة الى الفعل

وتلك الاسباب منساقة الى مسبباتها بالضرورة العقلية عندهم فالشبهة

لا تندفع بهذا القدر الذي يدعيه المعتزلة اعني تأثير قدرة العبد وارادته

على ما يظهر بادنى تأمل صادق من ذوي فطرة سليمة بل الوجه في دفع

الشبهة ان الممكنات لما لم تكن في انفسها موجودة وانما وجودها مستفاد

من الواجب تعالى فليس لنا عليه تعالى حق حتى ينسب اليه تعالى في تخصيص

بعضها بالثواب وبعضها بالعقاب ظلم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وليس مثله

كمثل من يملك عبدين ثم يعذب احدهما من غير جريمة وينعم على الآخر من غير

استحقاق فان العبد ليس مملوكا للمالك بل هو ومالكه سيان في انهما مخلوقان

لله تعالى مستفيدان الوجود تعالى مملوكان في الحقيقة له تعالى فلا حق للمالك على

العبد الا ما عينه الله تعالى له ويناسب هذا بوجه بعيد ان الانسان اذا تخيل

تصور صورة معذبة وصورا منعمة لا يتوجه عليه الاعتراض بانه خصص

هذه الصورة بالعذاب وتلك بالنعمة وليعلم ان خلق الكافر ليس قبيحا وان

كان الكافر قبيحا كما ان تصوير الصورة القبيحة ليس قبيحا وان كانت

وان كانت الصورة قبيحة بل ربما دل تصوير الصورة القبيحة على كمال حذاقة الصانع

ومهارته في صنعته والحق الذي يلوح انوارة من كوة التحقيق ان فيض الوجود

من منبع الجود فائض على الماهيات الممكنة حسبما يستعده وتقبله وكما ان المنعم

في النشأتين ممكن كذلك المعذب فيهما والمعذب في احدهما دون الاخرى ممكن

وعطاؤه تعالى غير مقطوع ولا ممنوع فان يد الله تعالى ملأى بالخير والكمال وخزانة

كرمه مملوة من نفائس جواهر الجود والافضال فلا بد ان يوجد جميع الاقسام

واصل هذا ان الصفات الالهية باسرها تقتضي ظهورها في مظاهر الاكوان

وبروزها في مجال الاعيان وكما ان الاسماء الجمالية تقتضي البروز وتابى الاستتار

فكذلك الاسماء الجلالية تستدعي الظهور والاظهار فكما ان الهادي يتجلى في مجال

الموقنين والابرار كذلك اسم المضل والمذل يظهر في مظاهر المشركين والكفار

واعتبر ذلك في جميع الاسماء والصفات تنكشف عليك لمعة من لمعات انوار الحقيقة

وتهتدي الى شمة من نفحات الاسرار الدقيقة والسؤال بان هذا لم صار مظهرا

لذلك الاسم وذلك مظهرا للاسم الآخر مضمحل عند التحقيق فانه لو كان هذا مظهرا

لذلك الاسم لكان هذا ذلك ثم توهم بقاء السؤال بعينه فتأمل فانه دقيق

ثم ان للتوحيد بحسب القسمة الاولى ثلاث مراتب ادناها مرتبة توحيد الافعال

وهو ان يتحقق بعلم اليقين او بعين اليقين او بحق اليقين ان لا مؤثر في الوجود

الا الله وقد انكشف ذلك على الاشعري اما من وراء الحجاب القوة الفكرية

او اقتبسه من مشكوة النبوة فانه قليل ما يخالف ظواهر الكتاب والسنة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)